الفصلُ الثاني
زواجٌ مباركٌ

زواج ابنتي رسولِ اللَّه:

قبلَ بعثتِه -صلى اللَّه عليه وسلم- كانَ قد زوّج ابنتَه «رُقَيَّة» بنتَ السيدةِ خديجةَ لعتبةَ بن أبِي لهَب، وكذلكَ زوّج أختَها «أم كلثوم» عتيبةَ أخاه فلما بُعثَ الرسُول، كانت ابنتاهُ مازالتا لم تزفا بعدُ، واشتدَّ «أبو لهبٍ» وزوجُه «أم جميلٍ بنتُ حربِ بنِ أمية» في تعذيبِ الرسول ﷺ حتى أن «أمَّ جميلٍ» كانتْ تحملُ الحطبَ وتضعهُ في طريقِ الرسولِ حتى يؤذيَه، وراحَ زوجُها «أبو لهبٍ» يزيدُ من أذى الرسولِ وصحابتِه فأنزلَ اللَّهُ تعالى سورةَ المسدِ وفيها يذكرُ حكايتهُما مع الرسول ﷺ فيقولُ:

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾.

إنّ اللَّه يبشرُ أبا لهبٍ بما أعدَّه له من عذابٍ، ولن ينفعَه ساعتهَا مالهُ وما حصلَ عليهِ في الدنيَا حينَ يذيقَه اللَّه النارَ الشديدةَ، وكذلك يُعْلِمُ -عز وجل- أمَّ جميلٍ زوجَ أبي لهبٍ بما أعدَّه لها من عذابٍ نظيرَ الحطبِ الذي كانتْ كثيراً ما تحملُه وتضعُه في طريقِ الرسولِ لتؤذيه به، فإن اللَّه قد جهَّزَ لها حبْلاً من ليفٍ يوضعُ في رقبتهَا ليعذبهَا به عذَاباً أبدياً.

لما سمعَ «أبو لهبٍ» و«أمُّ جميلٍ» آياتِ الذكرِ الحكيمِ التي ذكرتهمَا قالاَ لابنيهمَا:

– «فارقَا ابنتيْ محمدٍ».

إنهمَا يأمرانهمَا بأن يتركا بنتيْ الرسول ﷺ، وبالفعلِ طلَّقَ «عتبةُ» و«عتيبةُ» «رقيَّةَ» و«أم كُلثوم».

ظنَّ «أبو لهبٍ» و«أم جميلٍ» أنهمَا يغيظانِ الرسولَ بهذا الفعلِ، ولم يعلَمَا أن اللَّهَ قد قدَّرَ ذلكَ كرامةً للرسول ﷺ كيْ لا تكونَ ابنتاهُ زوجتينِ لرجلينِ من المشركينَ[1].

زواجُ «عثمانَ» من ابنةِ الرسول:

كان تطليقُ ابنيْ أبي لهبٍ لابنتيْ الرسُول تقليلاً، من شأنِ «عتبةَ» و«عتيبة» وخيراً كلَّ الخير لـ«رقيَّةَ» و«أمِّ كلثوم» فلقد تزوجَ «عثمانُ» من السيدةِ «رقيَّةَ» فلما توفيت تزوجَ بعدها أمَّ كلثوم.

الرسُول يتألمُ لما يعانيه أصحابه:

رأى الرسول ﷺ ما يصيب صحابتَه من الأذَى على أيدِي المشركينَ وعلم ضعفهُم، وعدمَ قدرتهمْ على الدفاعِ عن أنفسهمْ فتألمَ الرسُول لما يعانونَه وقالَ لهمْ:

١– ذو النورين – عثمان بن عفان – محمد رضا– ص١٢.

– «لو خرجتمْ إلى أرضِ الحبشةِ، فإنَّ فيهَا ملكاً لايظلمُ أحدٌ عندَه، حتى يجعلَ اللَّه لكمْ فرجاً ومخرَجاً مما أنتمْ فيه»[1] .

الرسول ﷺ يشيرُ على صحابتِه من المستضعفينَ بالخروجِ من أرضِ مكةَ والذهابِ إلى الحبشةِ؛ لأنَّ فيها ملِكاً صالحاً لايقبلُ أن يظلمَ أحدٌ عنده وهمْ بذلكَ سوفَ يبتعدونَ عن تعذيبِ قريشٍ لهمْ، وسوفَ يعيشونَ في أمانٍ، حتى يقضيَ اللَّهُ أمراً، ويخففَ عنهمْ عذابَ المشركينَ.

وكانتْ أولُ هجرةٍ في الإسلامِ، إذ خرجَ عشرةُ رجالٍ، وقيلَ أحدَ عشرَ رجلاً فارينَ بدينهمْ من تعنُّتِ المشركينَ وإيذائهم لهمْ.

١– الكامل في التاريخ – ابن الأثير – دار بيروت– ج٢–ص٧٦.